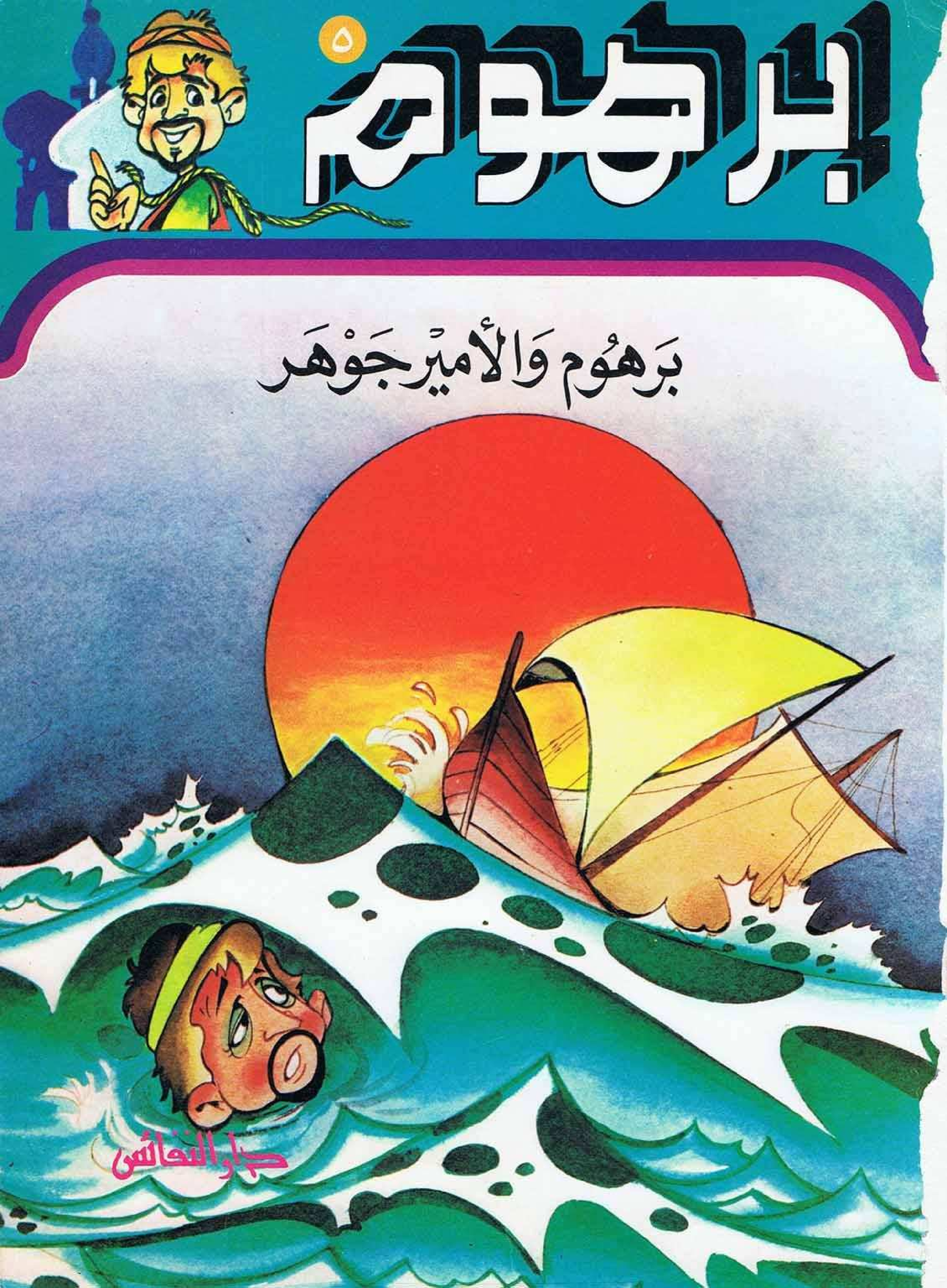

برهوم
٥
بَرهُوم وَالأميرِ جَوْهَر
دار النفائس



بَرهُوم وَالأميرجَوْهَر

قصّة : محمّد عبد الحميد الطرزي

رسوم : محمّد طارق العسيلي



مُلخّص مَا نُشِر في السَابق :

برهوم حَمّال فقير ، ذكي مرح ، انزلقت رجله فوقع أرضاً وشجَّ رأس جنيّ صغير . فسجنه « قطامش » في زجاجة وألقى به في قاع البحر ، حيث تعرّف على « حبظلم » ـ مارد سجنه النبي سليمان داخل زجاجة ـ فتصادقا واختلفا ، ثم ابتلع زجاجتيهما حوت ضخم . وفي هذه الاثناء ، أمّن « قطامش » لعائلة برهوم جميع لوازمها . ولما أخبره ابنه انه السبب في سقوط برهوم بحمله عليه ، اسرع « قطامش » ليستخرج الزجاجة من قاع البحر ، لكنه لم يجدها ، فغضب غضباً شديداً ، وضرب الحوت ـ الذي بداخله زجاجتي برهوم وحبظلم ـ ضربة أماتته . ولما عاد الى ولده بدون برهوم ، حزن الجنيّ الصغير وانتظر حتى نام والده « قطامش » ، وانسل من فراشه ليبحث عن برهوم . ولكن المردة الاشرار خطفوه .

وبعد أن مات الحوت ، خرجت من فمه سمكة كبيرة كانت قد ابتلعت زجاجة برهوم . فاصطادها احد الصيادين وقدمها الى الملكة التي اخرجت برهوم من سجنه وعرضت عليه الزواج . وقبل ان يعطيها جوابه ، ظهرت جثة الحوت ، فأسرع برهوم لاستخراج زجاجة « حبظلم » وإعادتها الى قاع البحر ولكن ساحرة الملكة نصحتها بألاّ تتركه يفعل ذلك ، والاحتفاظ بحبظلم كتهديد لبرهوم حتى إتمام الزواج . ولما رفض برهوم فكرة الزواج ، سجنته ملكة اللؤلؤ مع حبظلم وتعرفا على الرجل الأحدب الذي أخبرهما قصته مع الملكة وكيف مسخته من أمير الى أحدب طمعاً بكنز الشمندل . فاتفق برهوم مع الأحدب وحبظلم على خطة للهرب ، وهي القبول بالزواج من الملكة شرط فك السحر عن الاحدب وإعادته الى بلده ، وإطلاق سراح برهوم مع حبظلم بعد الحصول على كنز الشمندل .

تأهبت الساحرة للانصراف وهي تقول :

ـ سأعود إليك في المساء لأعطيك الرد النهائي . .

انصرفت الساحرة فقال المارد :

ـ كانت الزجاجة ضمن مطالبك . . لا شك أنك مصر على إلقائي في قاع البحر كما وعدت . .

نظر اليه « برهوم » وقال :

ـ لا يا حبظلم لن أفعل . . سأطلق سراحك وافعل بي ما يمليه عليك ضميرك . .

عند سماع هذا الكلام بكى المارد الجبار بحرارة ، فقال « برهوم » بدهشة :

ـ لماذا البكاء يا « حبظلم » . . ؟ أردت بتوبتك منفعتك ، ولكن شاء لك تفكيرك الحاقد الشرير أن تستمر على غيّك وهذا شأنك يا صديقي . . « **فلا إكراه في الدين**» . .

أجابه المارد بخشوع وصدق :

ـ أشهد أن لا إلّه إلا الله وأشهد أن سليمان نبي الله . .

تهلل وجه الأمير وقال :

ـ مرحبا بك أخا في الاسلام يا « حبظلم » . .

قال برهوم بفرح :

ـ حتى تكون شهادتك كاملة ردد معي . . « أشهد أن لا إلّه الا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » . .

كان « حبظلم » يردد الشهادتين بخشوع فلما انتهى سأل « برهوماً » :

ـ هل أرسل بعد نبي الله سليمان رسول آخر اسمه « محمد » . . ؟

أجابه الأمير موضحاً :

ـ نعم يا « حبظلم » . . « محمد صلى الله عليه وسلم » . . خاتم الرسل والنبيين .



قال برهوم وهو يمسك بغطاء الزجاجة :

- ما الذي يجبرنا على انتظارها .. سأفرج عنك اللحظة .. يا لها من ساحرة غبية ..

صرخ « حبظلم » محذراً وقال :

- لا يا « برهوم » .. انتظر ..

نظرا إليه بدهشة واستغراب فقال :

- بالطبع أشكر لك هذا الشعور النبيل .. ولكن ألم تفكر في مصير الأمير .. ؟

أجابه « برهوم » :

- ماذا تعني ؟



قال « المارد » :

ـ إذا ما أطلقتني الآن وهربنا من هنا ظل الأمير حياته كلها على هذه الصورة . . إن الساحرة اللعينة تعمل بالسحر الأسود وهذا النوع من السحر لا يفكه إلا من قام به .

قال الأمير بحزم :

ـ لا تضيعا الفرصة بسببى . . انطلقا ولي رب يتولى شأني . . « وهو على كل شيء قدير » ، سبحانه .

أجاباه معاً :

ـ حاشا للّـه أن نتركك بعد أن تآخينا وجمعت بيننا الصداقة . .

قال « حبظلم » شارحاً وجهه بنظرة :

ـ سننتظر حتى تعود الساحرة وأنا متأكد من أنها ستلبي لك مطالبك الثلاثة وإن كانت ستشترط أن تلقي بي في قاع البحر ، فإذا ما طلبت ذلك فتظاهر بالموافقة حتى لا تعرف أننا بتنا أصدقاء أوفياء لا يفرق بيننا الا الموت . .

سأله برهوم والدهشة بادية على محياه :

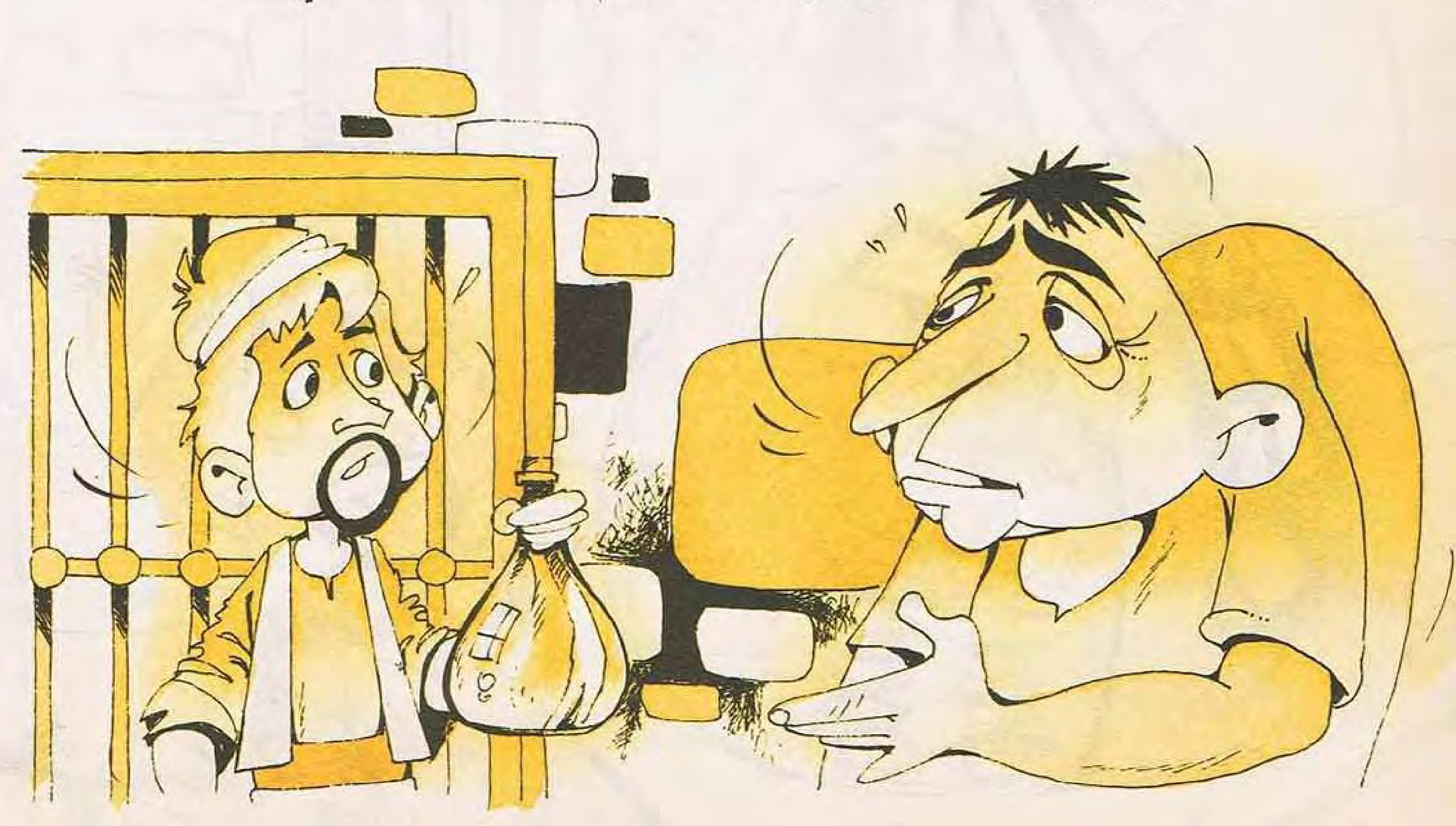
ـ وماذا لو طلبت مني تنفيذ ذلك . . ؟

أجابه ببساطة :

ـ إفعل ما تأمرك به ولكن اشترط بدورك أن تلقيني بنفسك . .

قال « برهوم » وهو في حيرة من أمر « حبظلم » :

ـ لن أفعل هذا أبدا . . ألقيك في الماء يا « حبظلم » بعد أن أصبحت أخي . . ؟





ضحك « حبظلم » وقال :

- لا وقت للجدل فالساحرة في طريقها إليك . . متى طلبت منك إلقائي في البحر عليك أن تلقيني بنفسك . . ومتى ركبت في القارب تقدم من مقدمته وارفع الغطاء ثم ألقني في البحر ولا تخف . .

قال برهوم :

- في هذه الحالة يجب ألا يلمحوني أليس كذلك . . ؟

أجابه « حبظلم » :

- طبعا . . تأكد أن الساحرة الملعونة لن تفك أسر الأمير إلّا بعد أن نطمئن الى كونك أصبحت وحيدا . . . . .

وقطع عليهم الحديث صوت المفتاح وهو يدور في قفل الباب فكفوا عن الحديث ودخلت الساحرة تتقدم الملكة التي بدت متهللة فرحة وقالت :

- وافقت عل على كل مطالبك يا مولاي وزوجي . .

قال « برهوم » بسخرية :

- مولاك وزوجك وتلقين بي في غيابة السجن على هذه الصورة . . ألا تخشين أن أستعمل حقي بعد الزواج وأعلمك الأدب . .

ضحكت الملكة وقالت بصوت رحيم يسيل رقة زائفة :
ـ وماذا لو فعلت . . ؟ إنه من حقوقك عليّ . .
قالت الساحرة وهي تضحك بخبث :
ـ لا تمني نفسك بأية مساعدة خارجية، عليك أن تطيع كل أمر يصدر لك واحمد ربك على ذلك . .
لم يفهم « برهوم » ما تعنيه فقال بغباء :
ـ ماذا تعنين بالمساعدة الخارجية . . ؟ وهل قلت أنني أنتظر مساعدة من أحد إلا الجني « قطامش » هذا إذا شُفيَ ولده واهتدى الى مكاني . .
أجابته ساحرة :
ـ إنه « قطامش » من أعني . . لقد أصيب بكارثة وأنت السبب فيها . .
انقبض قلب « برهوم » وسألها :
ـ ماذا جرى له . .
أجابته بشماتة وهي لا تخفي فرحتها :
ـ راح يبحث عنك حيث ألقاك فلم يجدك فأخذ يحطم كل شيء يعترض طريقه ، وهو الذي قتل في جملة ما قتل ، الحوت الذي ابتلعك وهذا المارد الحبيس . . ولما عاد قبل الغروب وجد ولده في انتظاره ليسأله عنك . . ولما أخبره بما جرى ، وأنه لم يعثر عليك أصر الجني الصغير أن يبحث عنك بنفسه وانتظر حتى نام « قطامش » وانسل من القصر ولكن ما كاد يحلق في السماء حتى تصيده المردة وأخذوه أسيراً الى مليكهم الذي لا يرحم ولا شك أنه الآن في عداد الهالكين . .
انهمر دمع « برهوم » غزيراً كالطوفان ، فقد أثَّر فيه وفاء الجني الصغير وتألم للمصير البشع الذي انتهى اليه. هنا قالت الملكة :
ـ هل تبكيه وهو السبب في كل ما أصابك . . ؟ إن أمرك عجيب محير . .
قال وهو يحاول عبثا حبس دموعه :
ـ مهما كان فعله فإني لا زلت حياً أرزق أما الجني المسكين فتقول العرافة إنه من الهالكين . .
قالت الملكة :
ـ هذا شأنك على أي حال . . . وأمر واحد يهمني هذه اللحظة . .
أجابها دون تردد :
ـ لقد طلبت مطالب معينة فهل لك اعتراض على مطلب منها . .؟
أجابته الساحرة نيابة عن الملكة ، فقالت :
ـ سنأمر قبطان إحدى السفن ، بحمل الزجاجة وإلقائها في أعمق مكان بالبحر . .



هز « برهوم » رأسه معترضا وقال :

ـ لن يرميه في البحر أحد سواي . . أنا لا آمن واطمئن إلا إذا ألقيته بيدي هذه ، وشاهدته وهو يغوص الى الأعماق . .

قالت الملكة :

ـ ليكن . . فلتذهب برفقة القبطان . .

قال « برهوم » :

ـ يسبق ذلك بالطبع فك سحر الأمير والسماح له بالسفر الى بلاده . .

التفتت الملكة الى العرافة الساحرة وقالت :

ـ نفذي ذلك . .

أخرجت العرافة من جيبها قنينة صغيرة بداخلها سائل أصفر اللون وقالت :

ـ إليَّ بوعاء به ماء . .

أحضر لها أحد العبيد ما طلبت فسكبت في الماء بعضاً منه وهي تتمتم بكلمات غير مفهومة ، فتصاعد منه بخار نفاذ الرائحة ثم فار وماج في الوعاء والكلمات الغامضة تتدفق من فمها بسرعة وفجأة قالت :

ـ أغمض عينيك . .

أغمض الأمير عينيه فسكبت بالماء على رأسه وقالت :

- إرجع الى صورتك الأولى . .

كان « برهوم » يرقب المشهد مشدوهاً عندما قالت العرافة :

- إفتح عينيك فقد برئت من سحري . .

ما كاد يفتح عينيه حتى تبدلت سحنته واستحال في لحظة الى شاب جميل الصورة كامل القوة وهب من مكانه وهو يقول رافعاً نظره ويديه الى أعلى :

- «أشهد أن لا إله إلاّ الله» . . الحمد لله رب العالمين . .

واحتوى « برهوم » بين ساعديه وقال :

- أشكرك يا أخي « برهوم » . وأطلب من الله لك السلامة . .

قال « برهوم » بارتياح :

- الآن عليك أن ترحل . . . وعلى الفور . .

قالت الملكة :

- إن قاربه الذي حضر به إلينا لا زال بالميناء ويمكنه أن يرحل فيه . .

خرجوا جميعاً من السجن وبرهوم ممسك بالزجاجة لا يفلتها من يده ، حتى إذا وصلوا الى المرفأ شاهدوا سفينة صغيرة بديعة الصنع اتجه اليها الأمير وقال :

- وداعاً يا « برهوم » . . جازاك الله عني كل خير . .

انتظر « برهوم » في مكانه حتى تحركت به السفينة وانطلقت بريح مواتية تمخر عباب البحر فقال «برهوم » :

- حمداً لله . . . فقد أنقذنا المسكين من مصيره الرهيب . .

قالت الملكة :

- الآن تفضل بركوب هذه السفينة يا مولاي . .

نظر اليها بسخرية وقال :

- لست أدري كيف أكون مولاك يا مولاتي . . أنت ملكة عظيمة وأنا حمال غريب مسكين فكيف . .



قاطعته بإشارة من يدها وقالت :

ـ كف عن هذا الحديث فقد تحدثنا فيه طويلاً ، هذا أمر انتهى . .

تنهد « برهوم » وسار الى السفينة وقلبه يرقص طربا ووقف يرقب الشاطىء وهو يبتعد لحظة بعد أخرى والملكة في مكانها لا تتحرك وشاهد الساحرة تنحني على اذنها وتهمس لها ببضع كلمات لم يسمعها ، ولكن إحساساً داخلياً ألهمه أنه هو المعني بهذا الحديث من الساحرة الملعونة ووجد نفسه يهتف :

ـ تحياتي لك وللملكة يا عجوز النحس . .

لم يكن يتصور أن الأمور ستسير بهذه السرعة فقد أمسكت العجوز بشيء في يدها وألقت به الى البحر فإذا بالأمواج ترتفع كالجبال واندفعت السفينة ببرهوم تتقاذفها الأنواء وهو يحاول عبثا التمسك بشيء يبقيه في مكانه حتى اذا ما تعرضت السفينة لموجة عالية اكتسحت سطحها وقذفت ببرهوم الى اليم ودون أن يشعر أفلت الزجاجة من يده وهوت الى الأعماق وبداخلها « حبظلم » المسكين ، كان برهوم يكافح الأمواج الصاخبة بيأس فهو لا يحسن السباحة وكاد يوقن بالهلاك عندما شعر بيد قوية تجذبه من الماء وسمع صوتا مألوفا يقول :

ـ لا بأس عليك يا أخي « برهوم » . .

كان الأمير هو منقذه فقد توقع المتاعب « لبرهوم » فظل يحوم بسفينته حتى شاهد هياج البحر المفاجىء وأدرك أنه من فعل الساحرة اللعينة . .

قال برهوم وهو بين اليقظة والاغماء :

ـ لقد سقطت الزجاجة . . ياويلي لقد قضيت على حبظلم المسكين . .

أجابه الأمير :

ـ لا تحزن ولا تيأس من رحمة الله . . سنستخرجها من القاع بإذن الله . .

سأله وهو يبكي :

ـ وكيف يتسنى لنا ذلك وقد غاصت الى الأعماق ويصعب تحديد مكانها . . ؟

اجابه الأمير بغموض :

ـ لا تخف . . . إن من سيتولى إنقاذه قادر بإذن الله على العثور عليه . .

إنطلقتِ السفينة تمخر عُباب البحر بعد أن خرجت من نطاق سحر الساحرة الملعونة ، وراح الأمير جوهر يحاول عبثاً تهدئة برهوم مما أصابه من هزة عصبية وانفعال . . .

قال الأمير :

ـ أخي برهوم هوّن عليك . . .

كان برهوم يبكي ودمعه يسيلُ على خدّيه تأثّراً من المصير الذي لقيه على يديه صديقه « حبظلم » بعد توبته الصادقة . . .

قال للأمير بلوعة محرقة :

ـ إن ما يزيد من عذابي هو ما قد يظنه « حبظلم » من أنني تعمدت إلقاء الزجاجة في الماء وهو بداخلها .

ابتسم الأمير ابتسامةً صافيةً وقال :

ـ يا برهوم إن « حبظلم » يعرف كل شيء . . وقد سمع ورأى كل ما حدث فلا تزد في عذاب نفسك . . . .

سأله برهوم وهو يشرق بالدمع :

ـ وكيف باللّهِ عليك ؟ . . . قل لي كيف يمكن إنقاذه . . . ؟ أرحْ ضميري أرجوك . . . هل لديك وسيلة لإنقاذه حقاً . . . ؟

أجابه الأمير :

ـ عندما نصل إلى بلادي سأستعين بساحر وادي الأفاعي فهو وحده القادر من بين السحرة على إنقاذه يا برهوم . . .

فكر برهوم لحظةً ثم قال :

ـ وهل بإمكانه كذلك إنقاذ الجني الصغير من أيدي المردة أيها الأمير . . . ؟

أجابه بصراحةٍ زادت من آلامه :

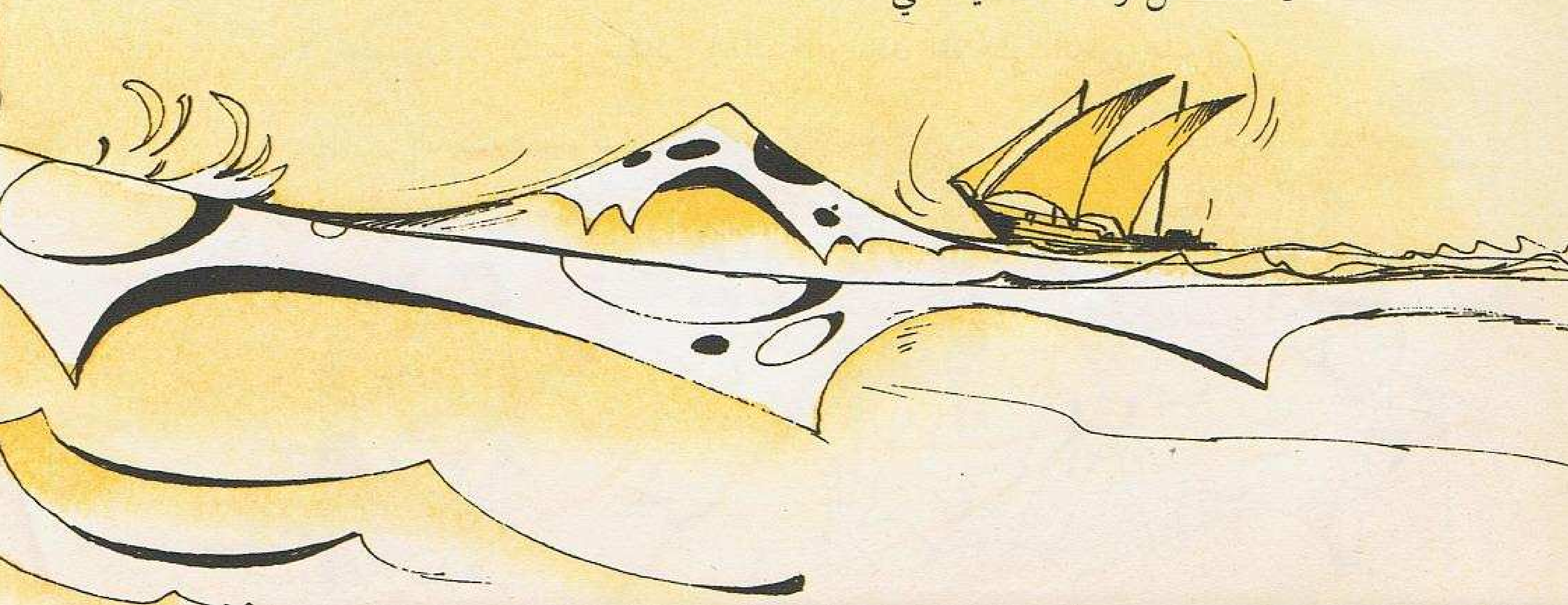
ـ أما هذا فلا أظنه يا برهوم . . . .

أجابه برهوم :

ـ ماذا . . . ؟

قال الأمير :

ـ لا تقنط من رحمة اللّه يا أخي . . .



فسأله برهوم بحرقة :

ـ كيف ؟

أجابه الأمير بهدوء :

ـ إذا ما تمّ إنقاذ « حبظلم » فسيعيننا على إنقاذ الجني الصغير .

هدأت نفس برهوم بعض الشيء ولكنه ظلّ على حزنه العميق وزهد في الطعام فضمر عوده وبدا وكأنه يعاني من مرض عضال في جسمه . . . .

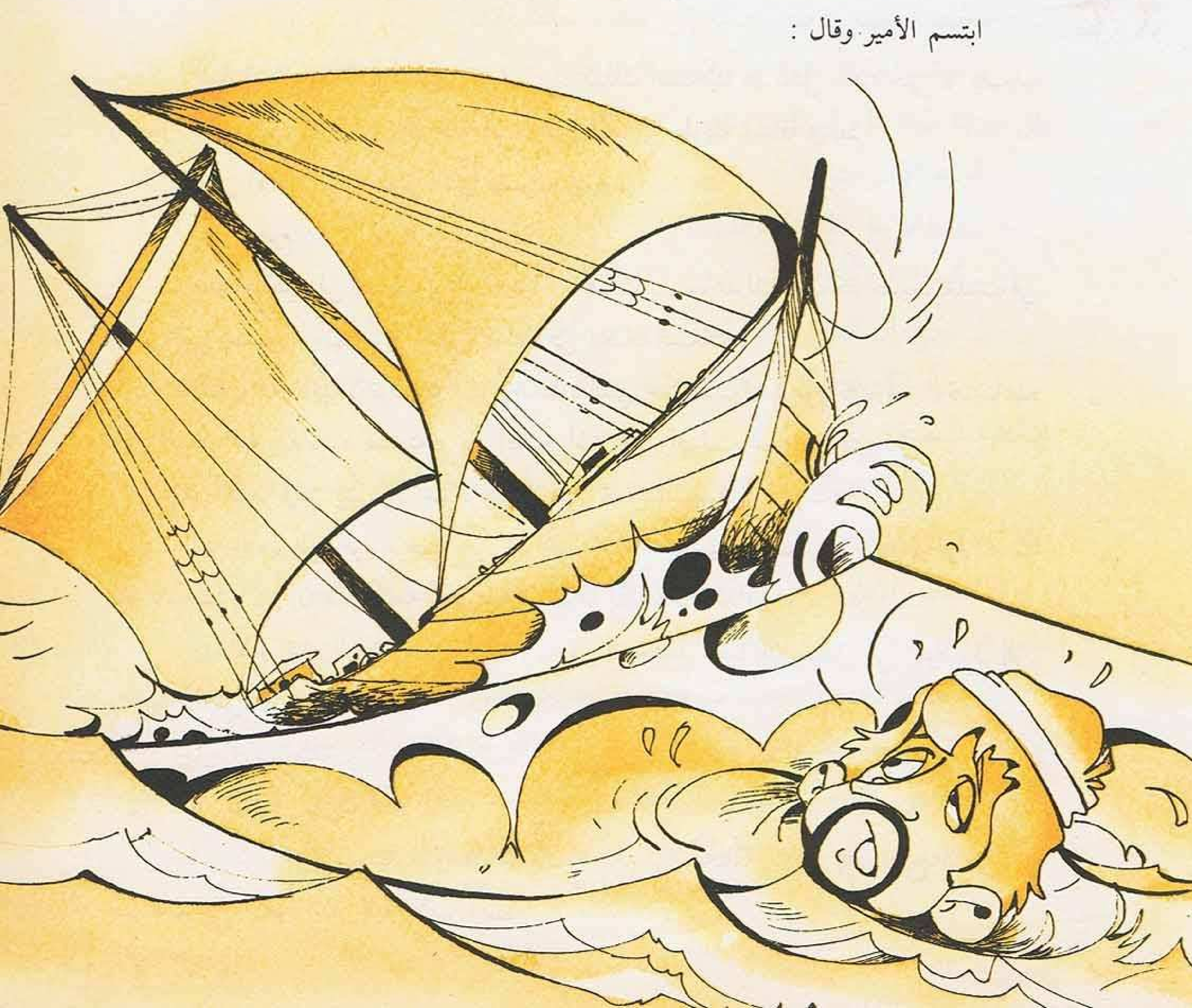
ساء الأمير أن يبقى برهوم على هذه الحال، وكان قد نجح في اصطياد سمكة كبيرة جداً فذهب بها إليه وقال عاتباً :

ـ برهوم لا تحبط عزيمتي بهذا اليأس الذي يلفك . . .

تنبه برهوم إلى نفسه وسأله :

ـ ألا زالت المسافة بعيدةً حتى نصل الى بلادكْ . . . ؟

ابتسم الأمير وقال :





ـ سنصل إلى هناك بعد شهر كامل . . . لذلك أنصحك أن تأكل جيداً حتى لا تضعف وتتعذر عليك الحركة . . إن الرحلة إلى وادي الأفاعي طويلةٌ وشاقةٌ وخطرةٌ . . .

أحسن الأمير انتقاء الوتر الذي يضرب عليه .

أجابه برهوم :

ـ حسناً سآكل ولن أضعف أبداً . . هيا . . هيا بنا . . سأعد لك السمكة حسبما تعلمت في بلدي ،فهي مشهورة بأنها من أحسن المدن في إعداد السمك . . .

كانت فرحة الأمير لا توصف للتقدم المطرد الذي حوَّل ذبـولَ برهوم نضارةً . وقد ساعده هواء البحر النقي فاسترد صحته ، بل أصبح أشد قوة وأصلب عوداً من ذي قبل . . . .

ومرَّ الشهر ولم يبقَ إلا سواد الليل حتى تصل السفينة إلى مرساها . . .

جلس الأمير إلى جوار برهوم . . . ثم أخذ يشرح له ما سيصادفهم . . . وكان برهوم ينصت إليه مندهشاً . . . إن ما يسمعه يُحيِّر الفكر تماماً لذلك قال للأمير :

ـ أيها الأمير تبدو الرحلة طويلة جداً . . ومن المحتمل أيضاً أن نفشل في الوصول إلى وادي الأفاعي . . .

أجابه الأمير بثقة :

ـ بل سنصل بإرادة الله . . . .

أمضى برهوم والأمير ليلهما وهما يتبادلان الأحاديث المختلفة ، حتى إذا ما لاح الفجر ظهر خط قاتم في الأفق أشار إليه الأمير وقال :

ـ ها هي بلادي ، أنظر يا برهوم . . أنظر إلى الأفق . . . وأخذت اليابسة تقترب رويداً رويداً . . . وكلما ازدادت اقتراباً وضحت معالم الأرض،فقال الأمير بتأثير واضح :

ـ لقد أبلغوا أبي بوصولي وها هم الجند يحيطون به . . .

وما إن لامست السفينة المرسى حتى هرع الجند إليها يثبتونها ويمـدون سجادة الاستقبال . . . ولم ينتظر الملك نزول ولده بل أسرع إلى السفينة يحتضنه ويضمّه إلى صدره بحنان قائلاً :

ـ الحمد لله الذي أعادك إلينا سالماً . . . بعد أن ضاع منا الرجاء . . ألم أحذِّرك كثيراً يا ولدي . . .

أطرق الأمير برأسه ثم قال :

ـ أبي هذا صديقي برهوم . . . هو الذي أنقذني . . لولاه يا أبي لأمضيت عمري كلّه أحدبَ . . . بفعلِ سحر تلك العرَّافةِ الملعونةِ . . .

رحّب الملكُ ببرهوم وضمَّه إلى صدره معانقاً وقال :

ـ سنقيم احتفالاً كبيراً بهذه المناسبة السعيدة . . وسنفتح أبواب القصر للشعب كلِّه الذي ظلَّ حزيناً طيلة مدَّة أسرك يا ولدي . . . .

أجابه الأمير متوسلاً :

ـ ليتنا نؤجل ذلك يا والدي . . . .

ـ لماذا يا بني ؟

ـ بودي أن أقص عليك أموراً تزيد في أهميتها عن الاحتفالات . .

كان الملك يدرك أن ولده لا يتحدث جزافاً وأن وراء الأكمة ما وراءها . . فقال وهو يتحرك لمغادرة السفينة . .

ـ لا صلة للاحتفالات بما تود أن تقوله أو أن تفعله . . . فليحتفل الشعب ولنتداول نحن في الأمر الذي يشغلك . .

خصص الأمير لبرهوم جناحاً فاخراً لإقامته . . وتولى بنفسه الإشراف على رعايته وتأمين سبل الراحة له . . .

وخصص لخدمته العديد من العبيد والجواري حتى خيل الى برهوم أنه نُصِّبَ أميراً أو حاكماً فطالما ساءل نفسه في وحدته ماذا يملك الأمير أو الملك أكثر مما أملك ؟

استُدعِيَ برهوم من قبل الملك لتناول طعام العشاء . . وكان الاحتفال مهيباً يأخذ بالألباب وعندما انتهوا من تناول طعام العشاء . . جلسوا في شرفةٍ مطلةٍ على البحر . . .

قـال الملك مخاطباً ابنه :

ـ الآن يمكنك أن تشرح لي الأمر لنعالجه معاً . . .

وشرع الأمير يروي القصة لوالده وأنهاها بقوله :

ـ ولذلك يصر برهوم على أنه هو المسؤول عن إعادة « حبظلم » الى الأعماق مرَّة أخرى . . .

التفت الملك إلى برهوم وقال بإعجاب :

ـ أيعني هذا أن تخاطر بحياتك في سبيل إنقاذه . . ؟

أجابه برهوم :

ـ إن حياتي لا تساوي قلامة ظفر إذا ما قورنت بما أمضاه المسكين داخل تلك الزجاجة الملعونة . . وحين لاح له الأمل في الخروج من سجنه الرهيب أعدته أنا مرة أخرى . . . الى الظلمات . . .



قال الملك وهو يزداد به إعجاباً :

ـ ولكن أما علمت من الأمير أن المهمة التي تنويان القيام بها تنطوي على خطر جسيم ويمكن أن لا يحالفكما النجاح فيها .

أجابه برهوم بحرارةٍ :

ـ في هذه الحالة أعفي الأمير من هذه المهمة لأتحمل وحدي نتائج عملي . . .

احتج الأمير قائلاً :

ـ هذه إهانة لي يا برهوم . . .

ـ لماذا ؟

هل تظن أنني أقلُّ منك شهامةً ووفاءً للمارد الذي أسلم على أيدينا . . ؟

أطرق برهوم رأسه . . .

بينما قال الملك بحزم :

ـ بل تذهبان معاً والله يرعاكما فتحققان مرادكما . .

تهلل وجه الأمير وقال :

ـ بارك الله فيك يا أبي . . الآن اطمأن قلبي ، فقد كنت أخشى أن تعارض في سفري بعد ما جرى لي من متاعب في الرحلة السابقة . . .

قال الملك وهو ينهض :

ـ إذن استعدّا للرحيل غداً . . . سآمر الدليل الوحيد الذي يستطيع إيصالكما إلى وادي الأفاعي ليكون جاهزاً لمرافقتكما منذ الصباح . . .وإن شاء الله وفقكما ، أما إن لم يحالفكما التوفيق فعودا سريعاً لنتدارس الأمر من جديد .

مرَّ الليل بطيئاً طويلاً لم تعرف عينا برهوم النوم خلاله رغم التعب الذي كان يعاني منه . . . .



فقد كان فكره مشغولاً باستعراض كل ما جرى له . . متعجباً محتاراً من تصرفات الأقدار الغريبة . . وشعر بحنين قوي لأولاده وزوجته رغم كل أفعالها وقسوتها ولسانها السليط الذي كان يكيل له الشتائم بسبب وبدون سبب . . .

بكّر برهوم بالنهوض من فراشه فوجد الأمير قد سبقه في الاستيقاظ ووجده واقفاً يشرف على تحضير الجياد والمؤن التي سيأخذونها معهم في رحلتهم الخطرة . . .

واتجه برهوم نحوه وحياه ببشاشةٍ . . .

قال الأمير بمرحٍ :

ـ كل شيء جاهز ولم يبق إلا أن نتناول آخر وجباتنا قبل الرحيل ثم نعتمد على اللّه ونرحل . . .

وأثناء تناولهما الطعام انضم إليهما أحد الرجال الذي انحنى طويلاً للأمير قبل أن يسمح له بالجلوس الى المائدة .

قال الأمير لبرهوم :

ـ برهوم أقدم لك دليلنا إلى وادي الأفاعي « أبو الهدى » .

فقال أبو الهدى :

ـ خادمك المطيع يا سمو الأمير . .

سأله الأمير :

ـ كم نحتاج من الوقت حتى نصل الى وادي الأفاعي . . . ؟

وأتبعه برهوم بسؤال آخر فقال :

ـ ولماذا سُميٍّ بوادي الأفاعي . . . ؟

التفت أبو الهدى إليهما الواحد بعد الآخر وقال بأدبٍ بالغٍ :

ـ نحتاج إلى شهرٍ كاملٍ حتى نصل إلى الوادي . . .

وسُمِّي بوادي الأفاعي لأنه مليء بالأفاعي . . . وحجم الأفاعي هناك لا يوجد له مثيل في العالم . . .

ابتسم « أبو الهدى » وقال :

ـ طبعاً إذا وقع نظرها علينا هلكنا . . . ولكنني أعرف في الوادي طرقاً أخرى وسنصل إلى هدفنا إن شاء اللّه بسلام .

قال برهوم بوجل :

ـ أخبرني . . كيف نواجه المخاطر وكيف نبتعد عنها . . .



أجابه أبو الهدى :

ـ لما كنت على معرفةٍ بعادات الحيات فإنني أختار الوقت المناسب للسير والوقت الملائم للتوقف والاختفاء . . .

نظر برهوم إلى « أبو الهدى » وقال :

ـ هل يعقل هذا . . ؟ والتفت إلى الأمير وقال : أنرمي بأنفسنا إلى المهالك اعتماداً منا على معرفته بعادات الحيات كما يقول ؟

لم يغضب « أبو الهدى » بل قال :

ـ معرفتك لطباعها أهم ما يلزمك لتمر في واديها . . إنني لا أقلل من شأن الخطر ولكنني كذلك أعرف أين أضع قدمي .

قال الأمير بهدوء :

ـ يا أخي برهوم . . إننا لسنا في طريقنا إلى نزهة كما تعلم ، علينا أن نتغلب على ما يصادفنا من متاعب لنصل إلى هدفنا . .

أحس برهوم بالخجل ولكن سرعان ما عاودته روحه المرحة :

ـ إذن على بركة اللّه . . لقد جربت بطن الحوت فلعلني أجرب هذه المرة بطن الحية لأعرف أي البطنين أكثر هدوءاً .

ابتسم الأمير وقال :

ـ يسعدني أن تعود لمرحك يا أخي برهوم . . .

ضحك برهوم وقال يغير الحديث :

ـ سأقصّ عليكما طرفة حدثت لي وأنا صبي . . . طبعاً ليس الآن . . . ونحن في الطريق لنقطع الوقت ؟

وأصدر الأمير أوامره بالرحيل . وكان الملك في وداع الركب .

وبعدما عانق ابنه قال :

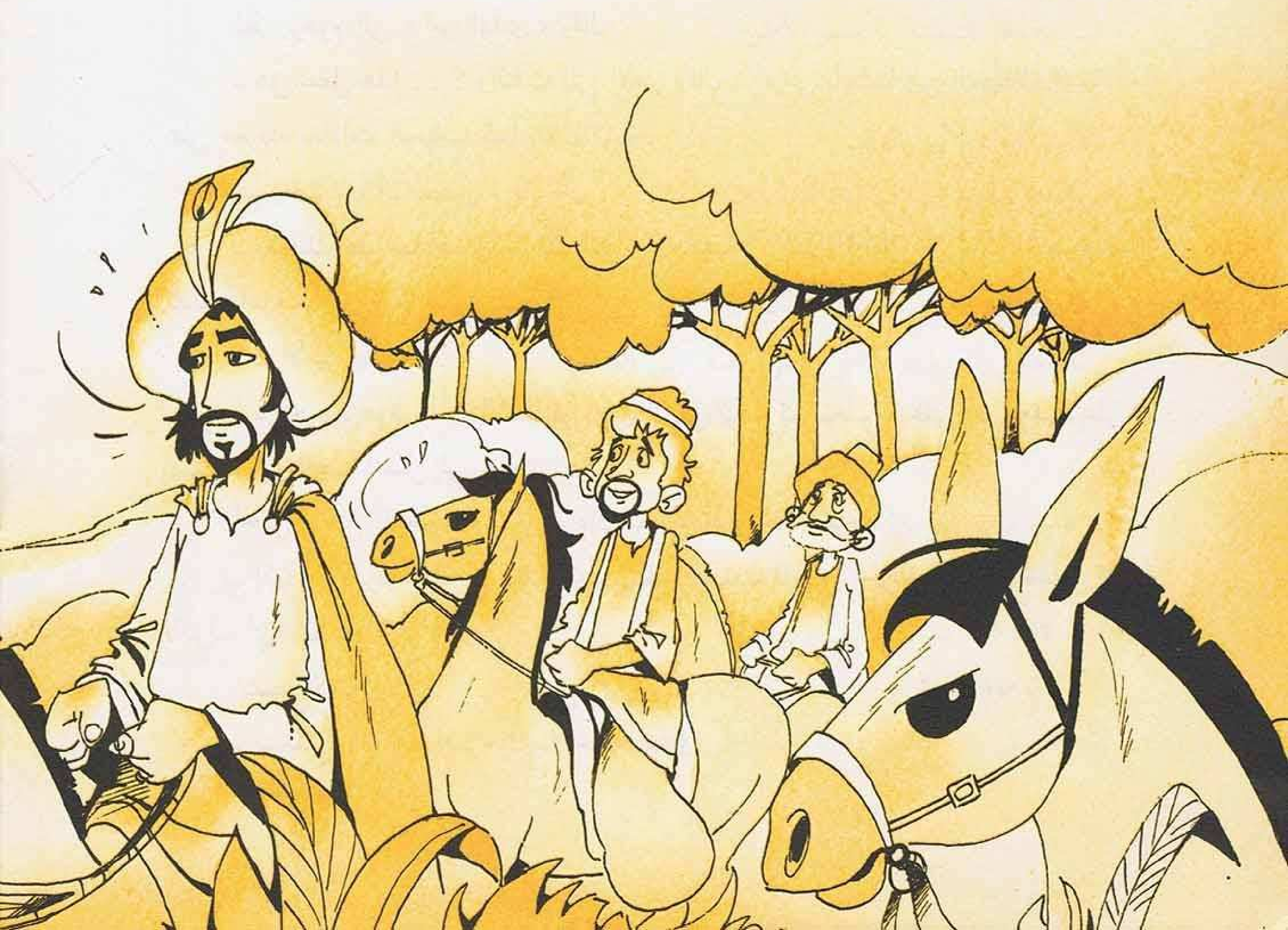
ـ أتمنى لكما السلامة والعودة سالمين ظافرين .

***

انطلقت بالركب الخيول القوية تقطع الطريق المقفر ، وبرهوم ينهال على صديقيه بالنكات والطرائف يهون بها عليهما عناء السفر .

ولما أقبل الليل بسواده اقترح « أبو الهدى » التوقف والمبيت في مكان اختاره فقال :

ـ لنعسكر هنا حتى الصباح . . سأجمع بعض الحطب لنشعل ناراً نبعد بلهيبها الوحوش عنا . . . ونعد عليها طعامنا .



أعد « أبو الهدى » طعاماً شهياً يتقن صنعه بمهارة . ولما فرغوا من طعامهم قال الأمير :

ـ لم أنسَ ما وعدتنا به قبل الرحيل . . .

نظر إليه برهوم وهو يقول :

ـ بماذا وعدتكما ؟

أجابه الأمير :

ـ لقد وعدتنا بالقصة التي حصلت لك وأنت صغير . .

نظر إليه برهوم باسماً وقال :

ـ ولا أنا نسيت . . ولكن أتريدني أن أقص الآن ما حصل معي يوم ذاك !

أجابه الأمير وهو مسترخٍ في مجلسه :

ـ ألم نتفق على ذلك . . . ؟

قال برهوم :

ـ إذن سنتأخر في النوم هذه الليلة . . يحسن بي أن أهيىء لكما شراباً ساخناً أُحسن إعداده . . ووزع عليهما شراباً يشبه الشاي ثم بدأ حديثه :

ـ كنت يومها في التاسعة من عمري ، ولما كان والدي يعمل فراناً كنت أحمل قفصاً من الخيزران المجدول أضع فيه ما ينتجه أبي من الفطائر وأبيعه في الطريق للمارة . . وقد اشتهر أهل بلدتي بارتجالهم الطرائف والنكات حتى عرفوا بها في البلدان المجاورة . وذات يوم كنت أقف بقفصي في ساحة القوافل أبيع المسافرين ما يحتاجونه من فطائر وكعك وفجأة وقف أمامي رجل مهيب الطلعة فتناول قطعة وقضمها ثم أعادها .





وسكت برهوم وعاد الأمير يستحثه ليكمل حديثه :

ـ وماذا فعلت بالكعكة . . ؟ لا شك أنك دفعت أنت ثمنها لأبيك . .

هز برهوم رأسه نفياً وقال :

ـ لم يكن معي ثمنها . .

تدخل « أبو الهدى » في الحديث قائلاً :

ـ إذن فقد أجبرته على دفع ثمنها . .

عاد برهوم يهز رأسه نفياً وقال :

ـ ما كنت أملك إجباره وأنا صبي صغير وهو ضخم طويل . .

تنهد الأمير وسأله :

ـ إذن ماذا فعلت . . ؟

أجابه برهوم بهدوء :

ـ أنا لم أفعل شيئاً . .

ـ إذن ماذا ؟ أجبني بسرعة هيّا .

أجابه برهوم ببطء أكثر :

ـ هو الذي سألني قائلاً : « أيها الصبي . . لقد قضمت الكعكة وأعدتها ثانية إلى مكانها دون أن أدفع لك ثمنها . . . ماذا ستقول لصاحب الكعك إذا ما سألك عمن قضمها ؟» .

أجبته :

ـ سأقول له لقد قضمها حمار . .

واستغرقوا في الضحك .

لقد كانت إحدى نكات برهوم التي بدأ بها السهرة واستأنفها مع صباح اليوم التالي واستمر بها طوال الطريق .



الحلقة القادمة

برهوم في وادي الأفاعي

انطلق برهوم والامير جوهر ، بصحبة « الدليل » أبو الهدى » ، الى وادي الأفاعي ، ليجتمعا بساحر الوادي الذي سينقذ صديقهما المارد « حبظلم » .

وفي الوادي العجيب ، يتعرض الاصدقاء الثلاثة لكثير من الاخطار والأهوال ، والعديد من محاولات الموت بأنياب الافاعي الضخمة .

فإلى الحلقة القادمة ، لنتابع فيها هذه الاحداث الشائقة ، مع « برهوم في وادي الأفاعي » .

شارع فردان - بناية الصباح وصفي الدين تجاه سيار الدرك - الطابق الثالث
ص . ب ٦٣٤٧ - ١١ - بيروت - هاتف ٨١٠١٩٤ - برقياً : دانفايسكو